



شهور من مهنة السجن التي طالت حوالي السنين عشتها مع هذا الضابط الشريف في سجن المزة العسكري، هذا الضابط الذي يحن إلى الجولان المحتل وكأنها قطعة من كبده لأنه الإبن الحقيقي للوطن، خدم في جولانه حياته العسكرية حتى غدا ضابط إستخبارات برتبة مقدم.

كيف لا يحزن على سقوط هضبة الجولان وقد أنفق الجيش السوري على هذه الجبهة 6 مليارات دولار حتى سقوطها في عهد البعث، الجولان... هذا الفردوس الشرقي الذي قال عنه كارل فون هون كبير المراقبين في الجولان (إن كل شبر من تلك الأرض يساوي منجماً من ذهب لكثره مايغفل عن الحب) ويقول المقدم مصطفى أنه خلال خدمته العسكرية غرس في الأرض بذرة عباد الشمس فغدت شجرة بطول 6 إلى سبعة أمتار) وقد نشرت إسرائيل تقريرها السياحي في عام 2010 فكانت 82 بالمئة من سياحة إسرائيل إلى الجولان، ويثبت لك المقدم في كتاباته كيف تمت تصفيه الجيش السوري من كفاءاته، وكيف رفعوا رتب البعض بالجملة، وكيف سلم الأندال الجولان لليهود وعادوا لحماية حكمهم (مصالحة جديد ورفع...) ويثبت لك المقدم الخيانة بعينها لحافظ الأسد وزير الدفاع في إذاعة بلاغ سقوط القنيطرة وكانت وقتها معافاة وليس فيها أي جندي إسرائيلي، (وكذا كان عدد القتلى حوالي 137 شهيد سوري فقط، وهو أصغر بكثير من أصغر مذبحة لآل الأسد الخونة في أرقة سوريا) فهل يتركوه حرًا !!!

في المهجع رقم 4 علوي هنا تعرفت على هذا الرجل العظيم، وبالمناسبة فقد كان معنا في المهجع المقابل رقم 3 الكاتب السيد زهير الشلق وهو يتقن سبع لغات، وقد اعتقل لأنه كتب في إحدى الصحف اللبنانية (أظن النهار) عن الجولان كذلك ما يلي: أراد حزب البعث أن يغير وجه التاريخ فغير خريطة الجغرافيا، وقد سجن في كل كلمة سنة كاملة وكان سجنه عشر سنوات بالضبط) لقد سجن كصديق سجنه لأنه سلط الأضواء على ضياع الجولان فدفع الثمن غالياً كذلك.

خطفه من لبنان:

كان المقدم مصطفى هارباً من وجه السلطة إلى لبنان لنشره كتابي سقوط الجولان ومن ملفات الجولان والذين طبعا في

لبنان وكانا يهربان لسوريا (وكلت أبيعه مع إخوتي حيث نخفية في جوارير سرية تحت الخزانة في مكتبتنا)، وقي ذات يوم من أوائل السبعينيات... كان يسبح على الشاطئ في يوم جميل من أيام صيف بيروت فسارع إليه عدد من المخابرات السورية (مخترقين سيادة لبنان) وأمسكوه وضربوه إبرة مخدر ثم خطفوه بالسيارة لمكان مجهول حيث وضع في تابوت خشبي وزورت له الوثائق على أنه متوفى، ووضعوه فوق سيارة مدنية، وعبروا فيه نقطة حدود لبنان الرسمية، متلبسين بالحزن وساقوه إلى دمشق ليصحوا هناك ويجد نفسه في صندوق للموتى في مركز للمخابرات السورية بالفرع الاجنبي.

وببدأ التحقيق والتعذيب الانتقامي معه .

أودع المقدم مصطفى في زنازن سجن المزة العسكري التي لا ترى الشمس أبداً ولا ترى فيها سوى سحن جنود سرايا الدفاع المعروفة، تلك الزنازن التي أودع بها الشيخ القائد الثائر الأول مروان حديد وكذا العالم المجاهد الشيخ سعيد حوى.. فترة طويلة فاعتاد المقدم مصطفى الهدوء والصبر الطويل وكان كعادته رجلاً متدينًا محتسباً متوكلاً على الله ولا يشكوا أبداً.... سمع رئيس ليبية معمر القذافي بكتابه فقرأه وأعجب به، فتوسط له مع الرئيس حافظ الأسد لكن حافظ الأسد رفض معتداً بأن المقدم مصطفى قد تهجم على طائفته العلوية لذا فالأمر ليس بيده، وكان ذلك كذباً وبهتاناً فالمقدم لم يكن طائفياً ولم يلمح لأي كتابة طائفية في كتابيه على الإطلاق، وإنما كان راصداً للخيانة، فمكث المقدم مصطفى في سجنه عشرات السنين، وعاش معه ومع غيري آلام السجن وجوعه وظلمته ووحشته ولقمهة القليلة وخبزه اليابس، وقطع الماء المقصود وإهمال المرضى وضعف الخدمات (فقد كانت 55 شخصاً لحمام واحدة ومطبخنا على الأرض مكان فراش نومنا) وكذلك كانت الأرض مائة لا يسهل النوم عليها.

في سبيل القيم العليا التي آمنا بها جميعاً في الله والوطن والحرية والعدالة الاجتماعية والأمانة ومحبة الناس كانت هذه التضحيات وكان المقدم مصطفى كما كنا نحمل قدر الأحرار الذين رفضوا أن يحكموا كالعبد وأن تسلم أوطانهم كمعالي الحيوانات مقابل ثمن بخس.

سجنت أنا مدة سنتين في سجن المزة العسكري عام 1978 وقد كنت في جهة المهاجع التي تطل نوافذ العالية (4 - 5 م) على دمشق، لكن سلطة السجن بقياد مديره حامد إسبر (إغتاله البطل الحموي محمد فخري بعد إطلاق سراحه منه) وقال يجب نقل مهاجع الإخوان المسلمين للخلف حيث أصبح الغبار يصلنا من حفريات بناء قصر حافظ الأسد على قمة جبل المزة، (بعد أن اتهموا الإخوان بأنهم يستعملون الضوء عبر النوافذ المطلة على دمشق كشيفرة للهروب)، وهنا وفي المهجع رقم 4 علوي تعرفت للمقدم مصطفى، والذي احتل أول فرشة على المصطبة مطلة على الكوريدور وذلك لقدمه في السجن (وكلت أنا في الأرض عند مدخل الباب) وقد رأيت هدوءه وقلة كلامه ومسالمته لنا وجديته وتدريسه للغة العربية التي كان يتفوق بها، وقد كان من منشفته التالفة طافية أخاطها ووضعها على رأسه وخيوطها تشوه منظر حوالها، وكان معه الحق فقد ترك لوالده (بائع الخضر) عائلة كبيرة، وكان من غيرته على عرضه لا يسمح بزيارات بناته رغم سجنه ما يقارب ربع قرن من الزمان لأنه يعلم وساحة أبناء النظام الذين كانوا يتحرشون النساء الزائرات، ويسرقون معظم ما يحضر لنا أهلونا.

وكان أشد ما آلمني على هذا الرجل العظيم ما حدث في القصة التالية:

نادي جندي سجان: مصطفى خليل.. جهز أغراضك، قال مصطفى لفين؟

قال السجان لمهاجع البعثيين (السوريون الموالون للعراق) فقال له لا لن أنتقل، قال هذا أمر من إدارة السجن فقال: قل لهم لست موافق،

ذهب السجان وعاد بعد قليل وقال له إما لمهاجع البعثيين أو للزيارة. فقال طيب ليش.

قال السجان هذا مهجع للإخوان .

قال اعتبرني منهم، قال لست منهم.

قال أنا أقول لك إبني منهم.

قال: السجان هذه هي الأوامر إما مهاجع البعيدين أو الزنزانة ولا حل آخر.

قال مصطفى: الزنزانة، وحمل فروته القصيرة ومشي لزنزانته ليقضى بها 6 أشهر.

وكان الحق معه فالبعيدين قد عاشرناهم حثالة لا يحبون بعضهم ولا يرضون بقسمة ولا يتزمون بدين ولا خلق، ومهجعهم عليه دائمًا قيمة من الدخان والمشاجرات كانت يومية، والكفر على لسانهم، وحنينهم للخمر قد أجبرهم على تعفين الفاكهة على قلتها، أما نحن فكنا نحاول يومياً حفظ القرآن (كان حوالي ثلث أو نصف المهجع يحفظون القرآن)، كما كنا نصلّي جمِيعاً جماعة، ونأكل سوية.

وكان معظممنا خريجي أو طلاب جامعات وقد تقويت أنا باللغة الإنكليزية هناك.

حزنت كثيراً على ذهاب هذا الرجل العظيم للزنزانة (وكان قد سبقه في هذا الأخ أبو صبري السباعي من حمص وهو بعثي فلما أرادوا نقله لمهاجع البعيدين فقد وعيه وكاد يسقط على الأرض لو لا مساعدتنا له) ولذا اقترحت على إخوتي في المهجع أن يتركوا مكان المقدم مصطفى خالياً ذكرى وفاء له، لكن صديقي الأخ موفق عياش طرح ذلك على التصويت (الذي عودنا عليه الشيخ سعيد حوى في كل أمور المهجع) فكانت الصوت الوحيد المؤيد مقابل الجميع المعترض، وأنا أعتذر لهم فالمهرج ضيق، فتقرر أخذ موقعه للذى يليه.

ذهب يومها المقدم مصطفى ولم أراه حتى سمعت في أوائل التسعينيات نبأ وفاته في سجن القلعة في دمشق بعد ما يقارب الربع قرن من السجن.

رحمك الله أيها المقدم الشريف وابن الوطن الكريم مصطفى، لقد علمتنا كيف تفدى الأوطان، وكيف تلقن الأجيال، وكيف يكشف الخائنون، فإلى جنان الخلد أيها المقدم الوطني العظيم.

المصادر: